تفسير ابن كثير

يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الانات والحالات فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته كما قال النبي صلى ا عليه وسلّم لمعاذ بن جبل [أتدري ما حق ا على العباد ؟ قال : ا ورسوله أعلم قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم قال : أتدري ما حق العباد على ا إذا فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم] ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين فإن ا سبحانه جعلهما سببا لخروجك من العدم إلى الوجود وكثيرا ما يقرن ا سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين كقوله { أن اشكر لي ولوالديك } وكقوله { وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا } ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء كما جاء في الحديث [الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة] ثم قال تعالى : { واليتامى } وذلك لأنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم فأمر ا بالإحسان إليهم والحنو عليهم ثم قال { والمساكين } وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفايتهم فأمر ا سبحانه بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم وسيأتي الكلام على الفقير والمكسين في سورة براءة وقوله { والجار ذي القربى والجار الجنب } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : { والجار ذي القربى } يعني الذي بينك وبينه قرابة { والجار الجنب } الذي ليس بينك وبينه قرابة وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي في قوله : والجار ذي القربى : يعني الجار المسلم والجار الجنب يعني اليهودي و النصراني رواه ابن جرير وابن أبي جاتم وقال جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود : والجار ذي القربى يعني المرأة وقال مجاهد أيضا في قوله : والجار الجنب يعني الرفيق في السفر وقد وردت الأحاديث بالوصايا بالجار فلنذكر منها ما تيسر وبا المستعان .

(الحديث الأول) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمر بن محمد بن زيد أنه سمع أباه محمدا يحدث عن عبد ا بن عمر : أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال [مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه] أخرجاه في الصحيحين من حديث عمر بن محمد بن زيد بن عبد ا بن عمر به .

(الحديث الثاني) قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن داود بن شابور عن مجاهد عن عبد ا بن عمرو قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه] وروى أبو داود والترمذي نحوه من حديث سفيان بن عيينة عن بشير أبي إسماعيل

زاد الترمذي : وداود بن شابور كلاهما عن مجاهد به ثم قال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه وقد روى عن مجاهد عائشة وأبي هريرة عن النبي صلى ا عليه وسلّم .

(والحديث الثالث) قال أحمد أيضا : حدثنا عبد ا بن يزيد أخبرنا حيوة أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يحدث عن عبد ا بن عمرو بن العاص عن النبي صلى ا عليه وسلّم أنه قال : [خير الأصحاب عند ا خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند ا خيرهم لجاره] ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن عبد ا بن المبارك عن حيوة بن شريح به وقال حسن غريب .

(الحديث الرابع) قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبيه عن عباية بن رفاعة عن عمر قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [لا يشبع الرجل دون جاره] تفرد به أحمد .

(الحديث الخامس) قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبد ا حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعد الأنصاري سمعت أبا ظبية الكلاعي سمعت المقداد بن الأسود يقول : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم لأصحابه [ما تقولون في الزنا ؟] قالوا حرام حرمه ا ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره] قال [ما تقولون في السرقة ؟] قالوا : حرمها ا ورسوله فهي حرام قال [لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره] تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن مسعود : قلت : يا رسول ا أي الذنب أعظم ؟ قال : [أن تجعل ندا وهو خلقك] قلت : ثم أي ؟ قال : [أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك] قلت ثم أي ؟ قال [أن تزاني حليلة جارك] .

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا هشام عن حفصة عن أبي العالية عن رجل من الأنصار قال : خرجت من أهلي أريد النبي صلى ا عليه وسلّم فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة قال الأنصاري : لقد قام رسول ا صلى ا عليه وسلّم حتى جعلت أرثي لرسول ا صلى ا عليه وسلّم من طول القيام فلما انصرف قلت : يا رسول ا لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام قال : [ولقد رأيته ؟] قلت : نعم قال [أتدري من هو ؟] قلت : لا قال [ذاك جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه] ثم قال [أما إنك لو سلمت عليه لرد عليك السلام] .

(الحديث السابع) قال عبد بن حميد في مسنده : حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا أبو بكر يعني المدني عن جابر بن عبد ا قال : جاء رجل من العوالي ورسول ا صلى ا عليه وسلّم وجبريل عليه السلام يصليان حيث يصلى على الجنائز فلما انصرف قال الرجل : يا رسول ا من هذا الرجل الذي رأيت معك ؟ قال [وقد رأيته ؟] قال : نعم قال [لقد رأيت خيرا كثيرا هذا

جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى رأيت أنه سيورثه] تفرد به من هذا الوجه وهو شاهد للذي قبله .

(الحديث الثامن) قال أبو بكر البزار : حدثنا عبيد ا بن محمد أبو الربيع الحارثي حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك أخبرني عبد الرحمن بن الفضل عن عطاء الخراساني عن الحسن عن جابر بن عبد ا قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقا فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار وأما الذي له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم] قال البزار : لا نعلم أحدا روى عن عبد الرحمن بن الفضل إلا ابن أبي فديك .

(الحديث التاسع) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي عمران عن طلحة بن عبد ا عن عائشة أنها سألت رسول ا صلى ا عليه وسلّم فقالت : إن لي جارين فإلى أيهما أهدي ؟ قال [إلى أقربهما منك بابا] ورواه البخاري من حديث شعبة به .

(الحديث العاشر) روى الطبراني وأبو نعيم عن عبد الرحمن فزاد : قال : إن رسول ا A توضأ فجعل الناس يتمسحون بوضوئه فقال [ما يحملكم على ذلك] ؟ قالوا : حب ا ورسوله قال [من سره أن يحب ا ورسوله فليصدق الحديث إذا حدث وليؤد الأمانة إذا ائتمن] .

(الحديث الحادي عشر) قال أحمد : حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة قال : قال رسول ا A [إن أول خصمين يوم القيامة جاران] وقوله تعالى : { والصاحب بالجنب } قال الثوري عن جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود قالا : هي المرأة وقال ابن أبي حاتم : وروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى وإبراهيم النخعي والحسن وسعيد بن جبير في إحدى الروايات نحو ذلك وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة : هو الرفيق في السفر وقال سعيد بن جبير : هو الرفيق الصالح وقال زيد بن أسلم : هو جليسك في الحضر ورفيقك في السفر وأما ابن السبيل فعن ابن عباس وجماعة : هو الضيف وقال مجاهد وأبو جعفر الباقر والحسن والضحاك ومقاتل : هو الذي يمر عليك مجتازا في السفر وهذا أظهر وإن كان مراد القائل بالضيف المار في الطريق فهما سواء وسيأتي الكلام على أبناء السبيل في سورة براءة وبا الثقة وعليه التكلان وقوله تعالى : { وما ملكت أيمانكم } وصية بالأرقاء لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس فلهذا ثبت أن رسول ا A جعل يوصي أمته في مرض الموت يقول [الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم فجعل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه] وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا بقية حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول ا A [ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة] ورواه النسائي من حديث

بقية وإسناده صحيح و الحمد .

وعن عبد ا بن عمرو أنه قال لقهرمان له : هل أعطيت الرقيق قوتهم ؟ قال : لا قال : فانطلق فأعطهم فإن رسول ا A قال : [كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوتهم] رواه مسلم وعن أبي هريرة عن النبي A قال : [للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق] رواه مسلم أيضا وعن أبي هريرة عن النبي A قال [إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي حره وعلاجه] أخرجاه ولفظه للبخاري ولمسلم [فليقعده معه فليأكل فإن كان الطعام مشفوها قليلا فليضع في يده أكلة أو أكلتين] وعن أبي ذر Bه عن النبي A قال [هم إخوانكم خولكم جعلهم ا تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم] أخرجاه وقوله تعالى : { إن ا لا يحب من كان مختالا فخورا } أي مختالا في نفسه معجبا متكبرا فخورا على الناس يرى أنه خير منهم فهو في نفسه كبير وهو عند ا حقير وعند الناس بغيض قال مجاهد في قوله { إن ا لا يحب من كان مختالا } يعني متكبرا { فخورا } يعني يعد ما أعطى وهو لا يشكر ا تعالى يعني يفخر على الناس بما أعطاه ا من نعمه وهو قليل الشكر على ذلك وقال ابن جرير : حدثني القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن كثير عن عبد ا بن واقد أبي رجاء الهروي قال : لا تجد سيء الملكة إلا وجدته مختالا فخورا وتلا { وما ملكت أيمانكم } الاية ولا عاقا إلا وجدته جبارا شقيا وتلا { وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا } وروى ابن أبي حاتم عن العوام بن حوشب مثله في المختال الفخور وقال : حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم عن الأسود بن شيبان حدثنا يزيد بن عبد ا بن الشخير قال : قال مطرف : كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه فلقيته فقلت : يا أبا ذر بلغني أنك تزعم أن رسول ا A حدثكم [إن ا يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة] ؟ فقال : أجل فلا إخالني أكذب على خليلي ثلاثا ؟ قلت : من الثلاثة الذين يبغض ا ؟ قال : المختال الفخور أوليس تجدونه عندكم في كتاب ا المنزل ثم قرأ الاية { إن ا لا يحب من كان مختالا فخورا } وحدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب بن خالد عن أبي تميمة عن رجل من بلهجم قال : قلت : يا رسول ا أوصني قال [إياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة وإن ا لا يحب المخيلة]